ظهور الإسلام وبناء الدولة الإسلامية

يمثل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية ثورة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، بل أعطى الإسلام للعرب انتقالا حاسما في تاريخهم، إذ جعل لهم دينا واحدا يدعو إلى التوحيد، وحقق لهم وحدتهم السياسية، وجعل منهم أمة موحدة قوية، حققت فتوحات واسعة. ولكل ثورة دينية أو سياسية أو اجتماعية مراحل تمهيدية ومقدمات، والتقديم لهذه الثورة واضح في تاريخ العرب قبل الإسلام، ويتجلى ذلك في ضعف المثل الجاهلية القديمة سواء كانت سياسية أم دينية أم اجتماعية، والميل إلى تركها والبحث عن مثل أخرى جديدة، والتنبؤ بقرب ظهور نبي مصلح يدعو إلى هذه المثل. في هذه الظروف ظهرت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة معقل الوثنية، ومربط التجار في شبه الجزيرة العربية.

شخصية النبي صلى الله عليه وسلم

صاحب الدعوة هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ويدعى شيبة الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيرة، ابن قصي ويسمى زيدا، ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (وفوق هذا النسب مختلف فيه بين النسابة والمؤرخين).

وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم".

أبوه هو عبد الله بن عبد المطلب وهو أصغر إخوته، وقد توفي وزوجته حامل بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وأمه هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية الزهرية، وهي أفضل نساء قريش نسبا وموضعا.

ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمكة عام الفيل، في 12 ربيع الأول الموافق لـ 20 افريل 571 م على الأرجح. فأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أياما، ثم أرضعته حليمة بنت أبي

ذؤيب السعدية، وفطم رسول الله لسنتين، فردته حليمة إلى أمه وجده وهو ابن خمس سنين. ولما بلغ السنة السادسة من عمره، خرجت به أمه لزيارة أخواله من بني عدي بن النجار في يثرب، ومعها عبد المطلب جد النبي، وأثناء عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء، فأصبح الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتيم الأب والأم، فكفله جده عبد المطلب وكان يؤثره على بنيه ويغمره بحنانه ويدنيه منه. ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب، فكفله عمه أبو طالب، فكان يحنو عليه ويعتني به ويخرجه معه في أسفاره وكان يجد فيه من النجابة والذكاء والبر وطيب النفس ما جعله يزداد تعلقا به، وأخرجه معه إلى الشام في تجارة له.

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة في رعاية عمه أبي طالب، واشتغل حينا برعي الغنم، ثم شهد –في شبابه– حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وقد أخرجه أعمامه معهم في بعض أيامها، وكان يرد على أعمامه نبال عدوهم إذا رموهم بها. كذلك شهد النبي مع عمومته حلف الفضول الذي كان هدفه مناصرة المظلوم على الظالم.

ولما تجاوز النبي سن العشرين وجهته السيدة خديجة بنت خويلد، وكانت امرأة شريفة موسرة ذات تجارة عريضة، إلى الشام في تجارة لها، وذلك عندما بلغها من أمانته وصدقه ووفائه. فخرج النبي في تجارتها إلى الشام حيث باع واشترى ما أراد، وقفل عائدا بمالها إلى مكة، وقد حقق أضعاف ما كان يصلها من المال. ولما رأت خديجة أمانته وبركته، وسمعت من غلامه ميسرة عن نبله وصدقه وطهارته، دست إليه من عرض عليه أن يتزوجها، فرغب في ذلك، فتزوجته وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي ابنة أربعين سنة، وكانت خديجة أول امرأة تزوجها النبي، ولم يتزوج غيرها حتى توفيت، فأنجبت له ولده كلهم إلا إبراهيم.

ولما دنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأربعين سنة، مال إلى العزلة، وحببت إليه الخلوة في غار حراء، حتى نزل عليه الوحي في شهر رمضان، ثم انقطع الوحي مدة من الزمن، فشق ذلك على النبي وأحزنه حزنا شديدا حتى نزلت عليه سورة الضحى، التي أقسم

فيها الله تعالى أنه ما تركه وما أبغضه منذ أحبه. وبينما كان يسير يوما إذ سمع صوتا فرفع رأسه إلى مصدره، فإذا جبريل بين السماء والأرض، فخشي منه النبي ودخله منه روع، وأسرع إلى داره يرتجف وأتى خديجة وطلب منها أن تدثره فنزلت عليه سورة المدثر: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)"

وبنزول هذه السورة، تبدأ الدعوة الإسلامية بمراحلها المختلفة، حيث بادر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام ودعا الناس إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام وبدأ بأقرب الأقربين إليه.